التناص الديني في شعر السياب

بقلم الدكتور

الشيخ محمد خالد الصادق

أستاذ مشارك ـ جامعة الملك خالد ـ المملكة العربية السعودية

المجلد السادس والعشرون للعام ٢٠٢٢م

الجزء الثاني (إصدار يونيو)

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

التناص الديني في شعر السياب

الشيخ محمد خالد الصادق

قسم اللغة العربية ـ جامعة الملك خالد ـ المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني : eelssdig@kku.edu.sa

الملخص

إنّ موضوع هذه الورقة العلمية هو التناص الديني في شعر الشاعر العراقي بدر شاكر السياب، وسوف تكون دراسة التناص الديني من خلال القرآن الكريم، والمصادر الأخرى إلى جانب المصادر المسيحية في النص الشعري.

كما وتقارب هذه الدراسة التناص مع ما ورد في الدين الإسلامي، وفي القرآن الكريم على المستوى الشكلي والفنِّي والمضموني، وبما حمله القرآن الكريم من صفة القداسة، والذي يستضئ المسلم بهديه.

وتحاول الورقة أن تبرز أهمية الاقتباس والتضمين من المصادر الدينية، وتفاعل الشاعر معها في إبداعه، مما جعل النصوص الشعرية ذات سلطة تأثيرية. فدأب الشاعر على العودة إلى التراث الذي يشكِّل رافدا أساسياً من روافد الحركة الشعرية المعاصرة، واعتمد عليه وأخضعه لتجاربه من قراءة جديدة لنص جديد آخر غير النص الذي هو محمور التعالق.

وتسعى الورقة في أهدافها أيضا إلى بيان مصطلح التناص في النقد المعاصر بإيجاز وهذا هو القسم النظري، أمّا القسم التطبيقي فيتناول نماذج من التناص ودلالاته في شعر السياب، وتتناول الدراسة جانبا واحدا من جوانب التناص وهو(التناص الديني)

الكلمات المفتاحية : التناص، الديني، في شعر، السياب .

الترقيم الدولي الإلكتروني
ISSN 2636 - 316X

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

the religions mtertexrality in the plastion Peot:Badr Shaker Sayyab

Mashan bin Nazil Al-Jabri
Associate Professor of linguistics at Taibah University, Kingdom Saudi Arabia .
Email: eelssdig@kku.edu.sa

Abstract

This study is based on holly Quran as well as Christion resource in poetic text. This paper compares the mtertexrality with what is ment ioned in Islam in From and content with It;s endless significances. It;s also inter prets many aspects of hamam rapture. This mtertexrality is found in term : of words and verses the paper of curses on quotations Spredictions from inter action sinnovation which maker the poetic text more significaul. This, what lets the poetic relies hentage,which constitulis an important branch of corrlo. Conter porapry poetic move ment: There fone,this let, him applied his experience in anew mtertexrality for anew text new style other than the concerned text.

This paper also aims to explain the term mterexrality in conterporary criticism, brcefly. This is the theoretical part, but the praitical part focuses an examples of mteretexrality and It,s signihcance in Badr Shaker Sayyab poems.

Keywords: Intertextuality, religious, in poetry, al-Sayyab.

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَةُ

قضية التناص قديمة في الأدب العربي، وإن تمظهرت بمسميات مختلفة، وإذا عدنا إلى الماضي نجد أنّها قد اندرجت مسمى قضية السرقة الأدبية التي تناولها النقاد العرب كثيرا، يقول ابن رشيق:(هذا بابٌ متسع جدا لا يقدر أحدٌ من الشُّعراء أن يدعي السلامة منه، وفيه أشياء غامضة إلا عن البصير الحاذق بالصناعة، وأُخرى فاضحة لا تخفى على الجاهل المغفل)[١].

والناظر في طبيعة المؤلفات النقدية العربية يعطينا صورة واضحة لوجود أصول لقضية التناص فيه، إذ اقتفى كثير من الباحثين المعاصرين العرب أثر التناص في الأدب العربي القديم، وأظهروا وجوده فيه تحت مسميات أخرى وبأشكال تقترب من المصطلح الحديث، وقد أوضح محمد بنيس ذلك، وبيّن أنّ الشعرية العربية القديمة قد فطنت لعلاقة النص بغيره من النصوص منذ الجاهلية، والتي تعكس شكلا لسلطة النص، وقراءة أولية لعلاقة النصوص بعضها ببعض، وللتداخل النصي بينها، فتكون المقدمة الطللية تقتضي ذات التقليد الشعري، من الوقوف والبكاء وذكر الدمن، وهذا إنّما يفتح افقا واسعا لدخول القصائد في فضاء نصي متشابك، ووجود تربة خصبة للتفاعل النصِّي[٢]. وكلُّ هذا يُوضح أنّ للتناص جذورا وأصولا عربية لا تُغفل.

١- القيرواني، ابن رشيق، (١٩٥٥م) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، ج٢، ص٢٨٠

٢- بنيس، محمد، (١٩٩٠م) الشعر العربي الحديث(بنياته وابدالاتها)، (ط١) المغرب: دار توبقال للنشر، ج٣ص:١٨٢

لقد تفاعل الشُّعراء مع التراث، في الشعر أو الشخصيات الدينية أو التاريخية، ف(دأب الشُّعراء المعاصرون على العودة إلى التراث الذي يُشكل رافدا أساسيا من روافد الحركة الشعرية المعاصرة)[١].

إنّ أهمية هذه الورقة تكمن بإفراد البحث بنوع واحد من أنواع التناص، وهو التناص الديني، من خلال بيان التأثّر والتأثير على نحو ما يتجلى في النص الشعري المعاصر، والكشف عن توظيف الشُّعراء لهذه النصوص، أو الكلمات(المفردة) أو الجمل أو الشخصيات الدينية (الأنبياء، الصحابة،...الخ) في شعرهم، وما يُمكن أن يُحققه هذا التوظيف.

ومع العلم بأنّ الذين طرحوا قضية التناص في أعمالهم النقدية كُثُر، وربما يسأل سائل: ما الغاية من طرح قضية التناص من جديد؟ وما الجديد الذي ستحققه هذه الدراسة ؟ فالعلم يتجدد ولا يتجمد، ولا يكون حكر لفئة ما، ما دام هناك كتبا تُقرأ، ونماذج تتجدد، وسيكون الجديد في الطرح والمعالجة والموضوعات.

وتهدف الدراسة أوّلا: إلى إثراء الساحة العلمية بكلِّ ما هو جديد في قضية التناص، وثانيا: للتناص علاقة واشجة بقضية التجديد والمواكبة، وثالثا: الكشف عن التناص الديني.

ومما دفعني لاختيار هذا الموضوع من شعر السياب جملة أسباب: أولا: السياب من رواد حركة التجديد في الأدب العربي المعاصر شكلاً ومضموناً. وثانيا: مواكبة شعر السياب للأحداث التي مرت بها الأمة

١- ربابعة، موسى، (٢٠٠٠)، التناص في نماذج من الشعر العربي الحديث، (ط١)، إربد – الأردن: مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية للنشر والتوزيع، ص:١١

العربية. وثالثاً: استطاع السياب أن يُوظِّف التراث والأسطورة في شعره ويستفيد من الشخصيات الحقيقية والوهمية ويسقطها على شعره لتتيح له مجالات أعمق.

وختاما أقول: قد أصبح التناص الديني بنية أساسية في القصيدة العربية المعاصرة، وقد منح النص الشعري دلالات وأهمية كبيرة، إذ كان لتوظيف النصوص الدينية دلالات جمالية، ونفسية، ورمزية، وسياسية، ولذا ورد التناص في شعرنا العربي المعاصر وأصبح جزءً من قضايا النص الشِّعري وتقنياته، من العنونة التناصية والخاتمة إلى الرموز التراثية الدينية، وقد كان للشخصيات التراثية الدينية حضورا بارزا في النصوص الشعرية، وكان استدعاؤها يمثِّل قناعا في كثير من الأحيان، أو رمزاً لدى العديد من الشُّعراء للتعبيرعن تجاربهم وهمومهم الفردية والجماعية، وإسقاطها على واقع الأمة التي تعاني الضعف، ومحاولة تغيير هذا الواقع.

ووظّف السياب التناص الديني، واهتم به وفق رؤيته، موجها له توجيها مختلفاً، حيث كان للعامل النفسي والتاريخي والسياسي، أثرا واضحا في اختيار النصوص الغائبة، التي أحالها في قصائده، بل أصبح التناص مرتكزا في بنية بعض قصائده، التي قام بعضها على نص مقدّس سيطر على القصيدة.

المبحث الأول

التناص(دراسة نظرية)

مفهوم التناص ونشأته:

تنفتح النصوص وتتفاعل مع بعضها البعض منذ القدم، وكلُّ نص هو فضاء مفتوح قابل للاندماج والتفاعل مع غيره من النصوص، والنص الأدبي مهما توافرت فيه الجدة يرتبط بطاقة من النصوص السابقة عليه، وهي تكوّن بما يُسمى بالمرجعية الثقافية والأدبية، فالنصوص في الوقت الحديث ليست إلا امتداداً لنصوص سابقة.[١]

التناص لغةً:

فقد ذكرت كلمة تناص (في المعجم بمعنى الازدحام)، إذ أوردها صاحب تاج العروس فقال:(تناص القوم ازدحموا) [٢]، أما المعاجم العربية الحديثة فقد ورد في المعجم الوسيط: تناص القوم: ازدحموا [٣] ومن هنا يمكن أن يكون الازدحام مقابل التداخل أو التعالق.

١- ينظر علي نجيب إبراهيم، ومض الأعماق مقالات في علم الجمال والنقد، كتاب مترجم عن الفرنسية، ط١،(٢٠٠٠م)، دار كنعان للدراسات والنشر والتوزيع، إربد، ص١٠٢.

٢- الزبيدي: شرح القاموس المسمى(تاج العروس)، بيروت: دار الفكر، مادة نص.

٣- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، مادة(نصص)، مجمع اللغة العربية القاهرة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د ت.

التناص اصطلاحا:

التناص مصطلح نقدي حديث وهو تعريب للمصطلح الإنجليزي [١] Intertextuality وقد ترجم إلى التناص وأحياناً أخرى إلى بينصية[٢]، ويدل على تفاعل النصوص وتداخلها

أما مصطلح التناص فهو ترجمة للمصطلح الفرنسي (Intertext)، وكلمة (Inter) تأتي بالفرنسية: بمعنى التبادل بينما تشير كلمة(text) إلى النص، والتي هي من أصل لاتيني (textus) وتعني النسيج[٣].

وبالعودة إلى الماضي فقد اندرجت قضية السرقات الأدبية والتأثر والتأثير في قضية التناص،

وبخاصة قضية السرقات الأدبية التي تناولها النقاد العرب كثيرا، وربما يكون كلام ابن رشيق دالا في هذا المقام، فقد قال:(هذا بابٌ متسع جداً لا يقدر أحد من الشُّعراء أن يدّعي السلامة منه، وفيه أشياء غامضة إلا عن البصير الحاذق، وأخرى فاضحة لا تخفى على الجاهل المغفل).[٤]

١- ينظر: محمد عزام، النص الغائب، تجليات التناص في الشعر العربي،(٢٠٠١)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ص٢٨

٢- ينظر، عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، عدد ٢٣٢، ١٩٩٨م، ص٣٦١.

٣- ينظر: شربل داغر، التناص سبيلا إلى دراسة النص الشعري م١٦، ع١٢٧/١.

٤- القيرواني، ابن رشيق، (١٩٥٥م)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، القاهرة، ج٢، ص:٢٨٠. وص٥٣١ ــ٥٣٢.

كما اهتم أبوهلال العسكري(٣٩٥هـ) اهتماماً شديداً بالسرقات، ووضع لها فصلين أحدهما(حسن الأخذ)، والآخر(قبح الأخذ).[١]، ولعلّ أول إشارة عربية وصلتنا لمعرفة العرب بالتناص قول عنترة:

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهمي [٢]

وعنترة في قوله السابق يحس بأنّ مجالات الإبداع قد ضاقت عليه، وكأنّ الشُّعراء لم يتركوا له ما يقوله، فهو يريد أن يقول قولته الخاصة، لا أن يكون مقلداً.

مفهوم التناص عند النقاد الغربيين :

يقول (شكلوفسكي):(إنّ العمل الفني يدرك في علاقته بالأعمال الفنية الأخرى، وفي الترابطات التي نقيمها فيما بينها، وليس النص المعارض وحده الذي يبدع في تواز وتقابل مع نموذج معين، بل إنّ كلّ عمل فنِّي يبدع على هذا النحو)[٣].

ويمكن القول إنّ التناص بوصفه مصطلحا نقديا قد ظهر في بداياته الأولى ضمن الحديث عن الدراسات اللسانية عند العالم الروسي (ميخائيل باختين) وذلك من خلال كتابه (الماركسية وفلسفة اللغة). الذي ركز على

١- انظر، العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، الصناعتين، ط٢، (د ت)، ص٢٠٢ـــ٢٤٤.

٢- عنترة العبسي، عنترة بن شداد بن عمرو، (١٩٥٨م)، ديوان عنترة، بيروت، دار صادر، ص٤٢.

٣- انظر، ليديا وعد الله، التناص المعرفي في شعر عز الدين المناصرة، ط١، (٢٠٠٥م)، دار المجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ص٢١.

الحوارية وأول من أسّس لتقسيم الخطاب من الناحية القواعدية والنحوية إلى خطاب مباشر، وخطاب غير مباشر، وخطاب غير مباشر حر[١].

ومهما يكن فإنّ التناص مصطلح حديث ظهر على يد البلغارية جوليا كرستيفا في أبحاث عديدة لها ظهرت بين عامي١٩٦٦م و١٩٦٧م في مجلتي (Tel-Quel) و(Critque) [٢]، ثمّ بدأ المصطلح في الانتشار لدى عدد من النقاد الأوربيين والأمريكيين والعرب، واستندت إليه ثلاث دراسات هامة في نقدنا العربي وهي:(تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص)، لمحمد مفتاح من المغرب العربي، والتي صدرت عام١٩٨٥م، والدراسة الثانية هي:(الخطيئة والتكفير، من البنيوية إلى التشريحية، قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر(لعبد الله محمد الغذامي من السعودية، وصدرت في عام ١٩٨٥م، أما الدراسة الثالثة فعنوانها: في البحث عن لؤلؤة المستحيل، دراسة لقصيدة أمل دنقل، مقابلة خاصة مع ابن نوح، وهي لسيد البحراوي من مصر وقد صدرت عام١٩٨٨م.

وتعرِّف (جوليا كريستيفا)، في دراستها ثورة اللغة الشعرية، التناص على أنّه:(التفاعل النصي في نص بعينه).[٣]، فكرستيفا إذن شقت الطريق لغيرها من الباحثين لتفسير التناص، حيث اتسع التناص وأصبح

١- انظر، شربل داغر، التناص سبيلا إلى دراسة النص الشعري، (١٩٩٧م)، مجلة فصول، العدد ا(لأول)، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، المجلد ١٦، ص١٢٧.

٢- انظر، الخطاب النقدي الجديد مقالة (مارك انجينو) ، (١٩٨٧م) ، ضمن كتاب أصول الخطاب النقدي الجديد، (ط١) ، ترجمة أحمد المديني، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ص١٠١، وما بعدها، نقلاً عن شكري عزيز ماضي، ص١٧٢م.

٣- ينظر، شربل داغر، التناص سبيلا إلى دراسة النص الشعري، مجلة فصول م١٦، عدد١، ص١٢٧.

ظاهرة نقدية جديرة بالاهتمام والدراسة، حيث توالت الأبحاث في انتشار هذا المصطلح، ويزداد وضوحا مع(رولان بارت)، وذلك حين يربط ربطاً واعياً بين النص بوصفه سيّداً يستدعي إلى فضائه صيغاً مجهولة من نصوص أُخر، وبين التناص بوصفه متصورا يمنح نظرية النص جانبها الاجتماعي...، وفي ذلك يقول:(التناصية قدر كلّ نص مهما كان جنسه).[١]، وقد ورد ولأوّل مرة مصطلح التناص كمصطلح نقدي في كتابه (لذة النص) ١٩٧٣م.وتوالت جهود الباحثين في هذا المجال، من(لوران جيني) الذي يطرح تصوّراً جديداً أعاد فيه تعريف التناص:(عمل يقوم به نص مركزي، لتحويل عدة نصوص وتمثلها، ويحتفظ بزيادة المعنى(يقول هذا عام١٩٦٧م، بعد ظهور المصطلح عند(كرستيفا) بعشر سنوات. (٢)، كذلك تأتي جهود (جيرار جينيت) تحت اسم النص الجامع.

إنّ النص عند كريستيفا ليس مجرد خطاب أو قول، بل هو موضوع للكثير من الممارسات السميولوجية التي تعتد بها، على أساس أنّها ظاهرة غير لغوية، أي مكونة بفضل اللغة، لكنّها غير قابلة للانحسار، ف(كلُّ نص خاضع منذ البداية لسلطة نصوص أخرى تفرض عليه عالما ما، وتتجلى مقدرة الأديب في تشكيله من هذه النصوص نصا جديدا يحمل بصماته الخاصة(فالنص في بنيته الإنشائة يمثل مجموعة من تناصات، أو حصيلة جملة من عمليات التفاعل بين النصوص التي تدخل في نسيجه)[٣]

١- انظر، حافظ محمد جمال الدين المغربي، التناص المصطلح والقيمة، علامات في النقد، ص٢٧٥.

٢- انظر، حافظ جمال الدين المغربي: التناص والمصطلح في القيمة، ص٢٧٨.

٣- كريستيفا، جوليا، (١٩٩١م)، علم النص، (ط١)، ت، فريد زاهي، مراجعة عبد الجليل ناظم، ناظم، المغرب: دار توبقال للنشر، ص١٣.

إنّ النص يكون إنتاجا كما ترى كريستيفا من نصوص شكلها الأدباء، ولكن هذا النص له خصائصه وما يميزه رغم وجود التعالق مع تلك النصوص، ومهمة الأديب اللسانية هي التنظيم والربط بين الكلام، الأمر الذي يشكل خطابا جديدا في نسيج متكامل، ويحتاج إلى التحليل والإمساك بحروفه، والكشف عن الدوال فيه، لأنّ النص في نظرها(ليس مجموعة من الملفوظات النحوية أو اللانحوية، إنّه كلٌّ ينصاع للقراءة عبر خاصية الجمع بين مختلف الطبقات الدلالية الحاضرة هنا داخل اللسان والعاملة على تحريك ذاكرته التاريخية، وهذا يعني أنّه ممارسة مركبة يلزم الإمساك بحروفها عبر نظرية للفعل الدال الخصوصي الذي يُمارس لعبة داخلها بواسطة اللسان، وبهذا المقدار فقط يكون لعلم النص علاقة ما مع الوصف اللساني[١] .

وقد لا يستطيع الباحث أن يتتبع التجليات المتعددة التي ظهر بها مصطلح التناص، واكتسب من خلالها معاني كثيرة، من جوليا كريستيفا، مرورا بمقولات رولان بارت، وميشيل فوكو، وغيرهم من الباحثين الذين أضافوا أبعادا جديدة لهذا المصطلح في دراساتهم النظرية والتطبيقية ومهما يكن فإنّ الدارسين على اتفاق بأنّ(التناص شيء لا مناص منه؛ لأنّه لا فكاك للإنسان من شروطه الزمانية والمكانية ومحتوياتهما، ومن ذاكرته.

إنّ التناص لا يُحد بزمان أو مكان، لأنّ الشاعر يُطوّف عبر الزمان والمكان، ويستحضر من التراث ما يناسب مضمون نصّه، ويتسق مع دلالة ما يريد، ويوظّف استحضاره بما يملك من مخزون معرفي وثقافي، ونحن

١- كريستيفا، جوليا، (١٩٩١م)، علم النص: ص١٤ .

لا نبدع المستقبل إلا في لحظة تتصل جوهرياً بالأمس والآن[١]، وهذا يعني أيضا أنّ ممارسة النص فضاء مفتوح شامل لا نهائي.

إنّه التناص مفهوم جديد كلّ الجدة، سواء برؤيته الجديدة للنص أو بالفلسفة النقدية التي يستند إليها، وهو إذ يذكِّر ببعض الآراء (العامة المتناثرة) القائلة بالتداخل والتفاعل (الاقتباس والتضمين، والمعارضة، والسرقات الأدبية، والإشارة،...الخ)؛ فإنّه يبتعد عنها شاقا طريقا جديدا تماماً.[٢]

١ – ادونيس، (١٩٨٣م)، زمن الشعر، (ط٣)، بيروت: دار العودة، ص٢١٢.

٢ – ماضي، شكري عزيز، في نظرية الأدب، ص١٨٧.

المبحث الثاني

تناص اللفظ والمعنى في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف

لقد تعامل الشعراء مع القرآن في أغلب الأحيان على وجه الاقتباس، فيأخذ الشعراء كلمة أو آية ويدرجونها في أشعارهم، غير أنّ الشعراء المعاصرين قد خرجوا عن الاقتباس الضيق إلى التوسع في وجوه تناصية، تبلغ جزءاً من قصة قرآنية، أو قصة بعينها من النص القرآني، ولم يقف الشعراء عند حدود هذا الاقتباس، بل تجاوزوه إلى إثراء تجربته، واستيعاب التراث من منطلق يقود إلى التجديد أحياناً، كما أنّ العودة إلى القرآن تعني العودة إلى الجذور الأولى، والمنابع الصافية في داخل الثقافة العربية الإسلامية.[١]

ومن هنا فإنّ العلاقة التي تجمع نصوص هؤلاء الشعراء مع الآيات والقصص القرآنية، ليست علاقة اقتباس مجردة بل تكشف عن توظيف هؤلاء الشعراء لهذه النصوص، وليست مجرد نقل للنصوص، وإنماء الدخول في محاورات، ومن ثم بناء نصوص جديدة تحمل بصمات الشاعر الخاصة، بما فيه موروثه الثقافي والفكري، ومن ثم فإنّ القصيدة المتناصة (ليست كتابة، بل إعادة كتابة).[٢]

١- زواهرة، ظاهر، اللون ودلالته في الشعر، ص: ١٩٧

٢- حمودة، عبد العزيز، الخروج من التيه دراسة في سلطة النص، عالم المعرفة، العدد(٢٩٨)، (ط١)، الكويت، ص: ٢٠١

وعلى هذا الأساس أيضاً يمكن أن تكمن وظيفة التناص في أن (يخدم هدفاً ويقوم بمهمة سياقية يثري من خلالها النص، ويمنحه عمقاً، ويشحنه بطاقة رمزية لا حدود لها، ويكون بؤرة مشعة لجملة من الإيماءات تتعدد فيها الأصوات والقراءات).[١]

إنّ الشواهد التناصية تبدو كثيرة، وفي هذه الورقة سوف أعرض التناص الديني في شعر السياب في شواهد مختلفة من شعره، فمن ذلك نجد السياب يقتبس النص القرآني ويحوّر فيه، وقد يكون ذلك استحياءً للنص القرآني أكثر منه اقتباساً؛ لأنّ الشاعر غيّر من الحقائق فيه، إذ لم ينقل النص القرآني بحقيقته فيقول:

أكاد أسمع العراق يذخر النقود

ويخزن البروق في السهول والجبال،

حتى إذا ما فضّ عنها ختمها الرجال

لم تترك الرياح من ثمود

في الوادي من أثر. [٢]

فالسياب في هذا المقطع لم يرد نقل الحقيقة القرآنية كما هي، إذ يقول الله تعالى: (وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ)[٣]؛ لأنّ القوم الذين

١- اليافي، نعيم، (١٩٩٧م)، أطياف الوجه الواحد(دراسات نقدية)، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، ص: ٨٤.

٢- السياب، بدر شاكر، (١٩٧١)، الأعمال الكاملة، (ط١)، بيروت: دار العودة، ص:٢٥٥

٣- سورة الحاقة، الآية:٦

أُهلكوا بالريح هم قوم عاد، ولم تترك الريح لهم أثراً، بقدر ما أراد السياب استحياء النص القرآني، وربما يريد من ذلك أمرين:

الأول: هو استقامة النغم الموسيقي، فالموسيقى التي يحققها اسم (ثمود) متسقة نغما مع كلمة (الرعود).

أما الأمر الثاني: ربما يكون رسالة أعظم وأشمل، وهي أنّ الدمار يلحق بالجميع، كما يرى في العراق الذي فيه كلّ الخيرات، ولكنّها تذهب لغير أهلها، تذهب أدراج الرياح، والفاعل غير معلوم صراحة، والشاعر من خلال استدعائه الحادثة من القرآن الكريم غيّر أيضاً الريح- إلى الرياح، وكأنّه يقول لنا غير الجوع، واغتصاب الحقوق من قبل الطامعين في بلده العراق أن لا وجود للخير، إذ إنّ المعنى المرتبط بالرياح هو الخير من جر السحاب والتلقيح، في حين أنّ لفظ الريح يعني الحرية والدمار، فلا وجود سوى للدمار، وكأنّه يريد عقوبة للمتسلطين على خيرات العراق من كلّ شيء: الريح/الرياح.

ويستغل السياب النص القرآني بعيداً عن الاقتباس المعهود، إنّما يعيد كتابة النص القرآني ويوظفه وفق تجربته الشعرية، وذلك لكي يتناسب مع الجو النفسي الذي يعيشه الشاعر والمليء بالدهشة والخوف، يقول السياب:

وتحت النخيل حيث تظل تمطر كلّ ما سعفه

تراقصت الفقائع وهي تفجر- أنّه الرطب

تساقط على يد العذراء وهي تهز في لهفة

بجذع النخلة الفرعاء تاج وليدك الأنوار لا الذهب.[١]

يعاني الشاعر من السفر والمرض، فهو يحتاج إلى لهفة تهزه ليخرج إلى الحياة بأمل ونور، لأنّ السياب (هده السفر وأيأسه المرض لابد أن ينتظر معجزة تفتح أمامه باب الحياة من جديد، وتهذب بالمخلوق في نفسه).[٢]، ولهذا لجأ الشاعر إلى النص القرآني الذي تسرب في نصه

الشعري، وتعالق الشاعر مع قوله تعالى:(فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا) [٣]، وتحدث هذه الآية في النص المكتوب مساراً نفسياً خاصاً، وتحددت أمامه ببعد شعوري يرتبط بالأزمة النفسية التي كان يعيشها[٤].

وفي واقع مظلم لا يرى الشاعر بدر شاكر السياب بريق أمل للنور، فتكون الأمنية هي الخلاص من هذه الحياة، ومن الدنيا بالموت، إذ يقول:

واستيقظ الموتى.. هناك على التلال

الريح تعول في الحقول، وينصتون إلى الحفيف

يتطلعون إلى الهلاك

في آخر الليل الثقيل.. ويرجعون إلى القبور

١- السياب، الأعمال الشعرية الكاملة، ص٥٩٨ ــ ٥٩٩.

٢- السعدني، مصطفى، البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث، القاهرة، دار المعارف، ص٢٤٣

٣- سورة مريم، ص: ٢٦

٤- انظر، إسماعيل، عز الدين، (١٩٧٨)، الشعر العربي المعاصر (قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية)، (ط٣)، القاهرة، دار الفكر العربي، ص: ٣١.

يتساءلون متى النشور!!

والآن تقرع في المدينة ساحة البرج الوحيد

لكنني في الغربة الظلماء.. في الغاب البعيد [١]

فالشاعر يعاني الغربة الظلماء، كما يعاني ذلك أهل المدينة، وإذا ما وقفنا مع ألفاظه التي شكّل منها نصه في هذه الأسطر، سنجد أنّها تدل على عظم الغربة والهمّ والقهر والظلام، ومنها: (الموتى، الهلاك، الليل الثقيل، القبور، تقرع، الغربة الظلماء، الغاب البعيد)، ولم يكتفِ الشاعر بكثير من هذه الألفاظ الدالة على عظم ما يعانيه، فلجأ إلى نعتها بكلمات تمنحها عمقاً في المأساة والغربة (الغربة الظلماء، الغاب البعيد).

وحين عاد الشاعر إلى النص القرآني:(وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا)[٢]، يحاول صبغ ومزج صورة المكذبين بالبعث بصورة أولئك الذين يتمنون الخلاص من الدنيا والموت لعظم ما فيها من الظلم والغربة، إذا لم يجدوا في قبورهم راحةً وخلاصا من الغربة فأخذوا بالسؤال من النشور، متى هو؟ وهم غير مكذبين له، وإنما متبرمون من الواقع الذي هم فيه، لعلّ الواقع الآخر فيه ما ينشدون من راحة، في حين بقي الشاعر يعاني غربته المظلمة بعيداً عن وطنه.

١- السياب، الأعمال الشعرية، ص: ٧٨.

٢- سورة الإسراء، الآية: ٤٩

التناص مع الحديث النبوي:

لقد تأثر الشعراء بالحديث النبوي الشريف، وهو المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن الكريم، ولقد جاء شارحا لكثير مما جاء في القرآن الكريم، ولم يكن صاحبه ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يوحى، لذلك استلهم الشعراء كثيرا من الأحاديث النبوية لفظا ومعنىً ، وضمّنوا أشعارهم الكثير مما جاء به النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وذلك لمنزلة الحديث النبوي، ولمنزلة صاحبه عند المسلمين، مما جعلهم يقتدون بهديه ويسيرون على هداه، فكان الحديث حقلا واسعا من حقول اتكائهم على ما فيه من المعاني والأفكار.

ويستلهم الشاعر بدر شاكر السياب المعاناة التي عاناها النبي صلى الله عليه وسلم في بداية دعوته للإصلاح والخير، ويستحضر ما فعله القرشيون بالنبي صلى الله عليه وسلم حين رموه بالحجارة وشجوا وجهه وكسروا رباعيته؛ ليسقط ذلك الحال على واقع الأمة التي تعاني الموت والقتل جراء هجوم هولاكو على بغداد وتدميرها وقتل أهلها، ثمّ تتابع (الهولاكيون) على بغد والأمة، واستمروا في القتل وإراقة الدماء، يقول السياب:

الموت في الشوارع

والعقم في المزارع

وكلّ ما نحبه يموت

الماء قيدوه في البيوت

وألهث الجداول الجفاف

هم التتار أقبلوا، ففي المدى رعاف،

وشمسنا دم، وزادنا دمٌ على الصحاف

محمد اليتيم أحرقوه فالمساء

يضيء من حريقه، وفارت الدماء

من قدميه، من يديه، من عيونه

وأحرق الإله في جفونه

محمد النبيُّ في حراء قيدوه

فسُمِّر النهار حيث سمّروه

غداً سيصلب المسيح في العراق،

ستأكل الكلاب من دم البراقْ. [١]

والبراق: الدابة التي أُسري بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم بها من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى في ليلة الإسراء والمعراج (وهو دابة بيضاء دون البغل وفوق الحمار).[٢]

إنّ هذه الصورة الشعرية البديعة الحية والمتكاملة ترسم وتعبّر عن واقع أُمتنا اليوم، وقد تكالب عليها الأعداء المغتصبين، فحلّ الموات والخراب في كلّ شيء، في الشوارع والمزارع وأصاب الجفاف المزارع،

١- السياب، الأعمال الشعرية الكاملة، ص٢٥٠-٢٥١

٢- البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح المختصر، ج٣، (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م)، الجامع المختصر، ط٣، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا - جامعة دمشق - اليمامة، ص١١٧٣.

ويستلهم الشاعر من التاريخ الغزو التتري للعراق ليسقطه على واقع الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين القضية المحورية للشعب العربي والإسلامي

ويستلهم الشاعر قصة النبي محمد صلى الله عليه وسلم مع قريش حين حاصروه وهجروه وحاربوه وسلّطوا صبيانهم وسفهاءهم عليه يرمونه بالحجارة والأشواك، حتى سال دمه الطاهر من قدميه ويديه، فدخل غار حراء ــ في هجرته إلى المدينة ــ إفلاتاً من مطاردة الأعداء ــ قريش ومن معها، فجاء الشاعر مصوراً هذه الصورة الدموية المؤلمة تعبيراً عن حال الأمة وما وصلت إليه من الذل والهوان، وعززها بصورة أخرى وهي صورة صلب السيد المسيح عليه السلام بغض النظر عن صدق رواية الحادثة، يريد أن يؤكد على نصر الأعداء وهيمنتهم على الأمة وأنّ خطر الأعداء لا يُفرّق بين مسلم ومسيحي على أساس الدين، وهذا ما جعل الشاعر يقول:

محمد النبي في حراء قيدوه غداً سيصلب المسيح في العراق.

والرسالة الأخرى التي يريد الشاعر أن يرسلها للقارئ أنّ زمن المعجزات قد ولى لخلاص الأمة من الأعداء وتحقيق النصر، فالبراق معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم في رحلة الإسراء والمعراج لن يعود، بل سيكون البراق فريسة للأعداء (الكلاب).

المبحث الثالث

التناص مع العهدين القديم والجديد والشخصيات التراثية الدينية

أثر الدين المسيحي والثقافة المسيحية حاضر في شعر السياب (التوراة والإنجيل)، وجاء تناوله لهما من منظور إسلامي، فقد شكّل ميلاد المسيح لحظة فرح وابتهاج، فهو ميلاد حياة جديدة مليئة بالخير، يقول:

هبّوا، فقد وُلد الظلامُ

وأنا المسيح، أنا السلامُ

والنّار تصرخُ يا وردة تفتحي، وُلد الربيع

وأنا الفرات، ويا شموعُ.[١]

فميلاد المسيح يعني الربيع، بما يحمل الربيع من التفتح والورود الحياة، فيأتي بتشبيه في غاية الروعة والجمال، تشبيه ميلاد المسيح عليه السلام بالربيع الأخضر؛ لأنّ اللون الأخضر يدل على السلام والخضرة وحياة جديدة. [٢]

وهذا ما عناه الشاعر بقوله:(هبّوا فقد وُلد الظلام)، وسيكون المسيح إلى الأبد إذ ليس يموت لأنّه (مات وصلب ودُفن وقام في اليوم الثالث).[٣]، وهنا المقام ليس للحديث عن الخلافات بين العلماء في موت وصلب ودفن للمسيح عليه السلام، بقدر ما هو توضيحا للتناص.

١- السياب، الأعمال الشعرية، مرجع سابق، ص١٨٦.

٢- انظر، شروح العهد القديم، سفر الخروج، ص١٥ــ٢٣.

٣- يوحنا، ٧ــ١٣، والقصة الكاملة يوحنا، ٢٨: ١ــ٦.

فالشاعر يريد أن يبعث الأمل بشروق شمس جديدة، رغم الظلام الذي يحيط بواقع الشاعر ومجتمعه، وإنّ من يؤمن بالمبادئ وإن مات فهو باقٍ؛ لأنّ المبادئ التي حفظها وآمن بها باقية.

ويقول السياب من قصيدة (سفر أيوب):

لك الحمد مهما استطال البلاء...

ومهما استبد الألم

لك الحمد إنّ الرزايا عطاء

وإنّ المصيبات بعض الكرم

ألم تعطني أنت هذا الظلام

وأعطيتني أنت هذا السحر.[١]

فالمعاني المتشربة من الكتاب المقدس واضحة في هذا المقطع الشعري، حين يجسّد قول أيوب عليه السلام للرب:(عريانا خرجت من بطن أمي، وعرياناً أعود هناك، الرب أعطى والرب أخذ ، فليكن اسم الرب مباركاً).[٢]

فالسياب ينقل تجربته الخاصة من معاناته للمرض، ثمّ يجعل من مرضه رحله يعبّر فيها عن إحساسه بمطاردة الموت له، وأنّ تجربته الشخصية جزء من تجربة أمته التي يعيش فيها، فمعاناته هي انعكاس لمعاناة أمته التي تعاني الموت والقتل والتشريد، وربما تكون هذه(مرحلة

١- السياب الأعمال الشعرية الكاملة، مرجع سابق، ص١٤٩.

٢- سفر أيوب، الإصحاح الأول، عدد٢١.

جديدة حوّل بها الموت إلى فلسفة ذاتية خاصة، فلم يعد الموت حدثاً مستغرباُ في حياته، وإنّما تحوّل إلى غنائية صافية متوسطة).[١]

ويقول السياب مبتهجاً بالبعث الذي يعني الحياة بعد الموت، والنصر بعد الهزيمة، والفرح بعد الحزن:

العازر قام من النعش

شخنوب العاذر قد بُعثاء

حيّاً يتقافز أو يمشي

كم ظلّ عاماً هناك وكم مكثا

أترى عاماً أم عامين؟

أم دامت ميتته ساعة؟[٢]

فواضح تسرب الألفاظ والمعاني الإنجيلية في هذا النص، فالعازر هو الميت الذي أحياه المسيح من قبره، وشخنوب هو عامل السمنت الذي استأجره الفوضويون فتظاهر بالموت، وحملوه في النعش تشهيراً بالجيش (الذي يقتل العمال) كما قالوا، ثمّ قام ماشياً حين سقط النعش[٣]، و(العازر قام من النعش).[٤]

١- الورقي، سعيد، (١٩٩٧م)، لغة الشعر العربي الحديث، مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية، دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية – مصر، ص٧١.

٢- السياب الأعمال الشعرية، مرجع سابق، ص٣٨.

٣- المصدر السابق، ص٣٨، الهامش.

٤- يوحنا،١١، ص٤٣ــ٤٤

فاستخدم الشاعر ألفاظ (بعث، حيا، يتقافز، يمشي) وهي ألفاظ، توحي وتدل على حركة التحرر والإقدام والسير نحو الهدف المراد تحقيقه، ولهذا بدأ يسأل عن مدة مكوثه، وكأنّه لم يشعر بها لسرعة البعث والقيام، ولعل هذه من الحالات النادرة التي يستخدم فيها الأمل القريب مستبشرا بتحقيق الأمل المنشود بالنصر والتحرر.

وفي غربته الموغلة في القدم والوحدة بعيدا عن العراق، يعيش الشاعر في حسرة وتمني بالعودة إلى العراق، ويتخذ من شخصية المسيح عليه السلام حلماً للعودة:

واحسر تاه متى أنام

...

غنيت تربتك الحبيبة،

وحملتها فأنا المسيح يجرُّ في المنفى صليبه. (١)

إنّ الشاعر يحتاج في هذه الصورة المؤلمة التي يعيشها في غربته إلى الأمل والعمل والخلاص، وهو يعاني الذل والهوان في غربته، ويسقط التجربة التي يعانيها على جميع أبناء وطنه وأمته، فغربته هي غربة أبناء وطنه في أوطانهم، وهم يحرمون من خيرات بلادهم، ويتقمص الشاعر شخصية المخلص المسيح عليه السلام العائد إلى الأرض؛ لذلك يكون الأمل معقوداً بالعودة؛ لأنّ المسيح سيعود، وكذلك الشاعر سيعود.

مما سبق يتضح : إنّ النصوص الشعرية التي تعالقت مع نصوص دينية قرآنية أو نبوية أو في الكتاب المقدس تبدو كثيرة، وقد عرضت لنماذج منها، ومن خلالها يتضح أنّ المشترك في توظيف الشعراء لها قد

١- السياب، الأعمال الشعرية الكاملة، مرجع سابق، ص:١٨٢.

ارتبط في أغلبه بقضايا الأمة ومعاناتها، وكانت فلسطين القبلة في هذا التوظيف؛ لما لها من أهمية دينية وتاريخية وجغرافية وسياسية؛ لأنّها قضية العرب والمسلمين الأولى، فكانت المحفز والمستفز للشعراء.

الشخصيات التراثية الدينية:

إنّ استدعاء الشخصيات التراثية والرموز أمر واضح في شعرنا المعاصر، وهو ما يمنح القصيدة فضاءً شعرياً رحباً، وغنياً بالدلالات والإشارات، واستخدام التراث اعطى القصيدة العربية ثوباً فنياً وبنائياً جديداً، إذ أصبح (عنصرا مهماً في تطوير القصيدة العربية، وأدى دوراً فاعلاً من خلال استلهامه في القصيدة، فأسهم في الحفاظ على انتماء الشعب وتاريخه، لذا فإنّ من الواجب أن نعود إلى الماضي ونستوعبه لكي نصل به إلى الحاضر).[١]

واستلهام الشاعر لهذه الشخصيات يدل على عمق قراءة الشاعر للتراث، وبيان قدرته على توظيف هذه الشخصيات...الخ.[٢]

والتي تصبح من الوسائل الفنية التي تساعد الشاعر على نقل تجربته خاصةً إذا كانت هذه الشخصيات:(تمتلك وجوداً واضحاً في ذهن الشاعر وذهن المتلقي، ولا يتطلب تجسيدها وإيصال مضمونها إلى الآخرين عناءً كبيرا). [٣]

١- الكركي، خالد، (١٩٨٩م)، الرموز التراثية في الشعر العربي الحديث، ط١، بيروت: دار الجيل، ص٨٩.

٢- زايد، علي عشري، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، (١٩٩٧م)، القاهرة، دار الفكر العربي، ص١٥

٣- حداد، علي، أثر التراث في الشعر العراقي الحديث، ط١، (١٩٨٦م)، دار الشؤن الثقافية العامة – بغداد – ص١٥٠.

ومن الشخصيات الدينية التي استخدمها السياب في بعض قصائده: شخصيات الأنبياء –عليهم السلام–، وتأتي شخصيات الأنبياء: محمد والمسيح، وكذلك شخصيتي قابيل وهابيل، ليسقط الشاعر معاناة هذه الشخصيات على أمته.

١- قابيل وهابيل:

تشكل هاتان الشخصيتان مصدر الصراع بين الحق والباطل، ومن ثمّ بيان الظلم الذي يلحقه الإنسان بأخيه الإنسان، إذ:(تعدّ حادثة قتل قابيل لأخيه هابيل رمز الخطيئة الأولى التي مارسها الإنسان ضد أخيه الإنسان، ورمز الشر الذي لم يتوقف حتّى الآن). [١]

يقول السياب في قصيدته (قافلة الضياع):

كي يدفنوا هابيل وهو على الصليب ركام طين

قابيل أين أخوك؟ أين أخوك؟

جمّعت السماء

آمادها لتصبح. كوّرت النجوم إلى نداء

قابيل أين أخوك؟

يرقد في خيام اللاجئين. [٢]

١- موسى، إبراهيم نمر، آفاق الرؤيا الشعرية (دراسات في أنواع التناص في الشعر الفلسطيني المعاصر)، جامعة بير زيت، ص٩٤.

٢- السياب، الأعمال الشعرية الكاملة، مرجع سابق، ص:٢٠٣

هذه الصورة التي يرسمها السياب والتي تعبّر عن قتل أمة لا فرد قال تعالى: مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ٣٢) [١].

فقابيل عند السياب رمزا لجماعة لا لفرد، فعبّر من خلال خطيئة قتل قابيل لهابيل مأساة الإنسان الفلسطيني الذي قتل بلا ذنب كما هو هابيل، ويصبح هابيل رمز الضحية الإنسانية حين يسقط بيد أخيه.

ويستدعي السياب شخصية المسيح؛ لتكون هي الأمل بالبعث والخروج من الظلام الذي تعيشه الأمة، ومن ذلك قوله:

أعلنتِ بعثي يا سماءُ

هذا خلودي في الحياة تكن معناه الدماء

بابا... كأنّ يد المسيح

فيها، كأنّ جماجم الموتى تُبرعم في الضريح

ثموز عاد بكلّ سنبلة تُعابث كلّ ربيع

الموت يركض في شوارعها ويهتف: يا نيامُ

وأنا المسيح أنا السلام

النار تصرخ يا ورود تفتحي، وُلِد الربيع. [٢]

١- سورة المائدة، الآية (٥)

٢- السياب، الأعمال الشعرية، مرجع سابق، ص: ١٨٥ــ١٨٦.

السياب يجعل بعث السيد المسيح وميلاده حياة جديدة مليئة بالخير؛ لأنّ المسيح المخلص قد وُلد، وهو الذي سينشر السلام في الأرض؛ لذا كان ميلاده ربيعاً وبعثاً.

وفي قصيدة أخرى يستحضر السياب شخصية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم مستوحياً المعاناة التي عاناها في بداية دعوته، يقول:

محمد اليتيم احرقوه فالمساءْ

يضيء من حريقه، وفارت السماءْ

من قدميه، من يديه، من عيونه

وأحرق الإله في جفونه،

محمد النبيُّ في(حراء) قيّدوه. (١)

يستحضر الشاعر شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم في قمة معاناتها من اليُتم والحرب والقتل وإراقة الدماء، والسياب ينقل السيرة النبوية في أبعادها الدينية والنفسية، ويسقطها على حالة العربي والمسلم المعاصر، ولنفسه وذاته.

وفي موضع آخر من قصيدة للسياب بعنوان (مولد المختار)، فيستحضر الشاعر شخصية النبي محمد صلى الله عليه وسلم؛ ليرسل أشجانه وهمومه، يقول:

ويا مولد المختار ميلاد أمةٍ ... وميعاد بعثٍ أنت فيها مقدّر

١- السياب، الأعمال الشعرية، مرجع سابق، ص: ٢٥٠

ومالت على الأفق الضرير منائرٌ وخرت قبابٌ وانهوى ثمّ منبـــر

كأن لم يضيء بالنور ميلاد أحمد ولم تنطفيء للفرس نارٌ ومسعر

ولم يدحر الجيش الصليبي صامد ولا راعت الغازين الله أكبـــر [١]

يتحدث السياب معدداً الأمجاد التي حدثت بعد بعثة الرسول صـــلى الله عليه وسلم، فهو يتمنى أن تُبعث هذه الأمجاد من جديد ويتغير حال الأمة.

ويضع السياب شخصية محمد صلى الله عليه وسلم رمزا للحضـــارة الإسلامية، وهذا ما وظَّفه السياب بقوله:

-أن يُرى ظلا له على الرمال،

كمئذنةٍ معفّرة

كمقبرةٍ، كمجدٍ زال

...

إلى أن يقول:

وهذا قبرنا: أنقاض مئذنة معفرة [٢].

هذا الاستدعاء لشخصية محمد صلى الله عليه وسلم في هـــذه الفقـــرة الشعرية من قصيدته (في المغرب العربي)، يشكل زمنين:(كان) زمن مضى، حيث كانت الحضارة العربية الإسلامية تشع بنورها، و(أمسى) زمن حاضـــر يُشكل ضياع الأمة وحضارتها، بل تم هدم هذه الحضارة في جيل لم يستطيع الحفاظ عليها.

١- السياب، الأعمال الشعرية، مرجع سابق، ص: ٢٥٠

٢- السياب، الأعمال الشعرية، مرجع سابق، ص٣٩٤ــ٣٩٥

فقد كان محمد صلى الله عليه وسلم، يُشكل الهادي والقائد والمنقذ لهذه الأمة، ولكن بعد ذلك دب التناحر في أوصال الأمة، فأصبحت ضعيفة مشتتة، لذا انهارت حضارتها، وركلها الأعداء بأحذيتهم وأقدامهم، دون أي اهتمام بقداسة تلك الرموز الحضارية [١] .

١- إحسان عباس، (١٩٧٨)، بدر شاكر السياب، دراسة في حياته وشعره، (ط٤)، بيروت: دار الثقافة، ص٢٧١ .

خاتمة البحث ونتائجه

حاولت في هذه الورقة- والتي جاءت من مقدمة وثلاثة مباحث- معالجة موضوع(التناص الديني في شعر السياب)، فشرحت أولا: مفهوم التناص وتطوره وثانيا: قمت بمعالجة النصوص معالجة فنية، تقوم على دراستها وفق سياقاتها، وبيان مدلولاتها وقيمتها التاريخية، ودورها في بعث وبث الروح من جديد في الأمتين العربية والإسلامية، وتنمية الأذواق الفنية والملكات الجمالية والتربوية، وهي دراسة قدّمت فيها جهدي ما استطعت، والتي أرى أنّها حافزٌ لمواصلة البحث، فإن أصبت فالحمد لله، وإن قصّرت فهذه طبيعة البشر، والله من وراء القصد، وهو يهدي السبيل. هذا وقد توصلت الدراسة إلى العديد من النتائج، اذكر بعضها والبعض الآخر موجود في داخل البحث، فمن النتائج التي توصلت إليها الدراسة:

١-أصبح التناص الديني بنية أساسية في القصيدة العربية المعاصرة، ومنح النص الشعري دلالات وأهمية كبيرة.

٢-استطاع السياب التعبير عن همومه الفردية والجماعية، وأسقطها على واقع أمته، وموظفا التناص الديني وفق رؤيته.

٣-كان للقرآن الكريم المساحة الكبرى، في التناص الديني في شعر السياب، لما يحمل من صفة القداسة، وبما يحمل من دلالات لا متناهية في كلّ زمان ومكان، فكان حاضرا بقوة على مستوى الكلمة والآية.

٤-استطاع السياب معالجة موضوع التناص معالجة فنية جمالية، وفق سياقاتها وبيان مدلولاتها النفسية والرمزية والسياسية.

المصادر والمراجع:

١- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، مادة(نصص)، مجمع اللغة العربية القاهرة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د ت.

٢- إبراهيم نمر موسى، آفاق الرؤيا الشعرية (دراسات في أنواع التناص في الشعر الفلسطيني المعاصر)، جامعة بير زيت.

٣- البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح المختصر، ج٣، (١٤٠٧هـ ـ١٩٨٧م)، الجامع المختصر، ط٣، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا – جامعة دمشق – اليمامة، ص١١٧٣.

٤- القيرواني، ابن رشيق، (١٩٥٥م) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، ج٢، ص٢٨٠

٥- الزبيدي: شرح القاموس المسمى (تاج العروس)، بيروت: دار الفكر، مادة نص.

٦ -السعدني، مصطفى، البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث، القاهرة، دار المعارف.

٧- السياب، بدر شاكر، (١٩٧١)، الأعمال الكاملة، (ط١)، بيروت: دار العودة.

٨ – العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، الصناعتين، ط٢، (د ت.

٩- إحسان عباس، (١٩٧٨)، بدر شاكر السياب، دراسة في حياته وشعره، (ط٤)، بيروت: دار الثقافة.

١٠- ادونيس، (١٩٨٣م)، زمن الشعر، (ط٣)، بيروت: دار العودة.

١١- حافظ محمد جمال الدين المغربي، التناص المصطلح والقيمة، علامات في النقد.

١٢خالد الكركي، (١٩٨٩م)، الرموز التراثية في الشعر العربي الحديث، ط١، بيروت: دار الجيل.

١٣- سعيد الورقي، (١٩٩٧م)، لغة الشعر العربي الحديث، مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية، دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية – مصر.

١٤ – سفر أيوب، الإصحاح الأول، عدد٢١.

١٥ – شكري عزيز ماضي، في نظرية الأدب.

١٦شربل داغر، التناص سبيلا إلى دراسة النص الشعري، (١٩٩٧م)، مجلة فصول، العدد ا(لأول)، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، المجلد ١٦.

١٧ – شروح العهد القديم، سفر الخروج.

١٨ – ظاهر زواهرة، اللون ودلالته في الشعر.

١٩ – عز الدين إسماعيل، (١٩٧٨)، الشعر لعربي المعاصر (قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية)، (ط٣)، القاهرة، دار الفكر العربي.

٢٠ – عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، عدد ٢٣٢، ١٩٩٨م.

٢١ – عنترة العبسي، عنترة بن شداد بن عمرو، (١٩٥٨م)، ديوان عنترة، بيروت، دار صادر.

٢٢- علي حداد، أثر التراث في الشعر العراقي الحديث، ط١، (١٩٨٦م)، دار الشؤن الثقافية العامة – بغداد.

٢٣ – علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، (١٩٩٧م)، القاهرة، دار الفكر العربي.

٢٤- كريستيفا، جوليا، (١٩٩١م)، علم النص، (ط١)، ت، فريد زاهي، مراجعة عبد الجليل ناظم، المغرب: دار توبقال للنشر

٢٥- ليديا وعد الله، التناص المعرفي في شعر عز الدين المناصرة، ط١، (٢٠٠٥م)، دار المجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

٢٦- محمد بنيس، (١٩٩٠م) الشعر العربي الحديث (بنياته وابدالاتها)، (ط١) المغرب: دار توبقال للنشر.

٢٧ - محمد عزام، النص الغائب، تجليات التناص في الشعر العربي،(٢٠٠١)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق.

٢٨- موسى ربابعة، (٢٠٠٠)، التناص في نماذج من الشعر العربي الحديث، (ط١)، إربد – الأردن: مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية للنشر والتوزيع.

٢٩- (مارك انجينو) ، الخطاب النقدي الجديد مقالة (١٩٨٧م) ، ضمن كتاب أصول الخطاب النقدي الجديد، (ط١) ، ترجمة أحمد المديني، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ص١٠١، وما بعدها، نقلاً عن شكري عزيز ماضي.

٣٠- نعيم اليافي، (١٩٩٧م)، أطياف الوجه الواحد (دراسات نقدية)، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.

٣١- يوحنا، ٧ــ١٣، والقصة الكاملة يوحنا، ٢٨: ١ــ٦.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١-	ملخص	١٧٠٧
٢-	Abstract	١٧٠٨
٣-	مُقَدِّمَةُ	١٧٠٩
٤-	المبحث الأول : التناص (دراسة نظرية)	١٧١٢
٥-	مفهوم التناص ونشأته:	١٧١٢
٦-	مفهوم التناص عند النقاد الغربيين :	١٧١٤
٧-	المبحث الثاني : تناص اللفظ والمعنى في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف	١٧١٩
٨-	المبحث الثالث : التناص مع العهدين القديم والجديد والشخصيات التراثية الدينية .	١٧٢٧
٩-	خاتمة البحث ونتائجه	١٧٣٧
١٠-	المصادر والمراجع:	١٧٣٨
١١-	فهرس الموضوعات	١٧٤١